

أضواء البيان

@ 235 كما جاء في حق فرعون في قوله تعالى : { حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ

قَالَ ءَامَنْتُ أَنزَّهُ لِي لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ
وَأَنزَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ } ، فقيل له : { ءَأَنَ وَقَدْ ءَمَّيْتَن قَيْلُ وَكُنْتَن
مِنَ الْمُفْسِدِينَ } . .

وجاء أصح ما يكون في قوله : { يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِنَا رَبَّكَ لَآ يَنفَعُ
نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنْتَ مِن قَيْلُ أَوْ كَسَيْتَ فِي إِيْمَانُهَا
خَيْرًا } . .

فلما جاء بعض آيات □ وظهر الحق ، لم يكن للإيمان محل بعد المعاينة { لَآ يَنفَعُ
نَفْسًا إِيْمَانُهَا } أي من قبل المعاينة كحالة فرعون المذكورة ، لأن حقيقة الإيمان
التصديق بالمغيبات ، فإذا عاينها لم تكن حينذاك غيباً ، فيفوت وقت الإيمان والعلم عند
□ ، وعليه حديث التوبة : ما لم يغفر . قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ } . والخشية : شدة الخوف ،
كما قال تعالى : { الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنْ
السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ } . .

وبين تعالى محل تلك الخشية في قوله : { إِنَّ زَمًا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ
الْعُلَمَاءُ } لأنهم يعرفون حق □ تعالى ويراقبونه . .
وقد بين تعالى حقيقة خشية □ : { وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ
الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الَمْءُ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ } . .
وقوله : { لَوْ أَنزَلْنَا هَآذِآ الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا
مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ } . .

فالذين يخشون ربهم بالغيب هم الذين يعرفون حق □ عليهم ومراقبته إياهم في السر والعلن
، ويعلمون أنه مطلع عليهم مهما تخسفوا وتسترُوا وهم دائماً منيبون إلى □ ، كما في قوله
: { هَآذِآ مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوْسَابٍ حَفِيظٍ مِّنْ خَشْيَةِ الرَّءْمَانِ
بِالْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلَابٍ مِّنْ ذِيبٍ } ، وهذه أعلى درجات السلوك مع □ تعالى ، كما
بين أنها منزلة العلماء . .

وقد عاب تعالى أولئك الذين يستخفون من الناس ولا يستخفون من □ ، ويخشون

